*نماذج من الدراسات النقدية المبنية على أسس بلاغية*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ عادل محمد فتحي

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*adel.mater@mediu.edu.my*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في نماذج من الدراسات النقدية المبنية على أسس بلاغية**

**الكلمات المفتاحية : الدراسات النقدية ، أسس بلاغية ، الفلسفة**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن نماذج من الدراسات النقدية المبنية على أسس بلاغية**

1. **عنوان المقال**

**فإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن أهم الدراسات النقدية التي بنيت على أسس بلاغية، فإننا نلاحظ:**

**أن ثمة مذهبين واضحين في الشعر تكونا في القرن الثالث الهجري، أولهما: مذهب أبي تمام، الذي كان يعنى بتأثير ما ثقف من الفلسفة وغيرها، من ضروب المعرفة للتعمق في معانيه، كما كان يعنى بمحسنات البديع حتى ليسرف فيها إسرافًا شديدًا، وثانيهما: مذهب البحتري، الذي لم يكن يأخذ نفسه بفلسفة، ولا بثقافة حتى كاد يلحق بالأوائل، وهو مع هذا كان يستخدم محسنات البديع، ولكن دون إسراف، أو إفراط.**

**ومعنى ذلك أنه كان يسلك الطريقة القديمة مع شيءٍ من التأثر بطريقة أبي تمام الجديدة، إذ كان يصطنع البديع بأكثر مما كان يصطنعه القدماء، وسقطت إليه أطراف من معاني أبي تمام بحكم إعجابه به، وعكوفه على شعره، وطبيعي أن يصبح عماد النقد؛ النظر في هذين المذهبين المتقابلين، وكانا يقومان في أكثر جوانبهما على مدى ما يُسمح للشاعر به من استخدام فنون البديع، وهل يأتي بها في قصد، أو يتجاوز القصد والاعتدال إلى الإسراف والمبالغة فيه.**

**وأيضًا كانا يقومان على مدى التدقيق في المعاني والغوص في خبيئها، وكان أنصار أبي تمام، يكثرون من الحديث عن اختراعاته في المعاني، والصور البيانية والبديعية، ففتح بابًا كبيرًا أمام خصومه؛ دخلوه ليردوا على أنصاره دعواهم له الاختراع والابتكار، وهو باب سروقاته من سابقيه، ولم يلبث أنصاره أن فتحوا بابًا مقابلًا، هو سرقات البحتري منه؛ ليدلوا على سبقه عليه وتفوقه، واتسعوا جميعًا في بحث السرقات، فطبقوها على غيرهما من الشعراء العباسيين، بل صعدوا في العصرين الإسلامي والجاهلي، يطبقونها على الشعراء القدامى، واحتدم البحث في هذه السرقات -طوال القرن الرابع الهجري- احتدامًا شديدًا، بسبب أن الشعراء أخذوا يعيدون ما سبق إليه الشعراء في القرون السالفة، من معانٍ، وصور بيانية وبديعية.**

**وأحسوا كأنما لم يترك لهم أسلافهم شيئًا يستطيعون أن يبتكروه، أو يستطيعون أن يضيفوه إلى ما صنعوا، هذا الإحساس جعلهم يعمدون إلى أداء التراث الفني الذي ورثوه عن أسلافهم، أداءً جديدًا، وهو أداء قام على التكلف في عرض هذا التراث ودقائقه من المعاني والصور.**

**وكل شاعر يضيف كلفةً جديدة حتى انتهى ذلك إلى تكلف أبي العلاء المشهور في لزومياته، وكان من سبقوه في هذا القرن الرابع، لا يبلغون في تكلفهم مبلغه، ولكنهم مع ذلك، كانوا لا يزالون يتكلفون كل حسب مهارته حتى يخفوا نقلهم عن سابقيهم، وحتى يظن مستمعوهم أنهم يأتون بجديد، غير أن النقاد والبلاغيين كانوا لهم بالمرصاد؛ إذ أخذوا يردون أشعارهم إلى أصولها من الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث، وشعر العصور السابقة له، وكان ذلك إيذانًا بجمود الشعر العربي. والذي نريد أن نخلص إليه من ذلك، هو أن أبحاث النقد -بحكم هذا التطور الذي أصاب الشعر- أخذت تُعنى بالبحث في معاني الشعراء، وصورهم البيانية والبديعية، تريد أن تردها إلى أصولها الموروثة؛ وبذلك اختلطت أبحاث النقد بالبلاغة.**

**وقد يكون الكتاب عامًا مثل: (عيار الشعر)، لـ"ابن طبا طبا"، ولكن حين تقرؤه تجده لا يكاد يتجاوز مشكلة اللفظ والمعنى، وبعض مسائل بيانية وبلاغية، ومن هنا امتزجت كُتب النقد بالمباحث البلاغية؛ إذ ظهرت في جملتها عن البحث في معاني الشعراء وألفاظهم، ومهارتهم في استخدام فنون البيان والبديع، وأهم كتب النقد التي صُنفت في هذا القرن هي: (عيار الشعر)، لـ"ابن طبا طبا"، ثم (الموازنة بين أبي تمام والبحتري)، للآمدي، وكتاب: (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، لعلي بن عبد العزيز الجرجاني، أما كتاب: (عيار الشعر)، فكتاب عام لا يختص بشاعر بعينه، بل يبحث في الشعر كله، حديثه وقديمه.**

**وقد ألفه محمد بن أحمد، بن طبا طبا، العلوي الأصبهاني، المتوفى سنة 322، أحد شعراء عصره ونقاده، وجعله كما قلنا في صناعة الشعر، والميزان الذي به تُقاس بلاغته، ونحث منذ مطالعه بصلته بـ(البيان والتبيين) للجاحظ، إذ يردد كثيرًا من ألفاظه، ولا يلبث أن يتحدث عن صناعة الشعر، وما ينبغي على الشاعر من إحكام كلامه ونظمه في نسقٍ مضطرب، ويطلب إليه أن يلائم بين الألفاظ، فلا يخلط بين أسلوب حضري وأسلوب بدوي، وأن يلائم بين كلامه والسامعين الذين يخاطبهم، وينصحه بحسن التخلص من الغزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى، ونحو ذلك من المعاني المتفرقة، التي ينبغي أن يحتال للوصل بينها وصلًا دقيقًا.**

**ويتحدث "ابن طبا طبا" عن المعاني والألفاظ، ويقسم الشعر إلى: ما حسن لفظه وجاد معناه، وما حسن لفظه دون معناه، أو معناه دون لفظه، وما تأخر لفظه ومعناه، وهو تفسير يستمد فيه من كتابات الجاحظ، ومما جد بعده من أفكار في حسن البيان، ومن ملاحظاته الخاصة في بعض محاسن القول، ونراه يعترف في أوائل كتابه، بإحساس شعراء هذا العصر بضيق مسالك القول بالقياس إلى سابقيهم، ويخرج من ذلك إلى الحديث عن طريقة العرب في التشبيه، ويقول: إنهم ضمنوا أشعارهم من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانهم وحسهم إلى ما في طبائعهم وأنفسهم من محمود الأخلاق ومذمومها.**

**ويتكلم بعد ذلك عن المعاني الخلقية، التي يلومون بها في مديحهم وهجائهم، وكل هذه مقدمات يضعها "ابن طبا طبا" بين يدي حديثه عن: (عيار الشعر)، ويقول: إن العلة في حسنه، اعتدال أساليبه واستواؤها، مما ترتاح له النفس، ولا يلبث أن يتحدث عن وجوه التشبيه، وكأنه يعده جوهر الشعر ولبه، ومبحثه فيه يعد أهم مبحث في كتابه، يتصل بالبلاغة وتطور البحث في مسائلها، فقد حاول أن يستقصي وجوهه وأقسامها، وربما كان هذا المبحث أهم مباحثه في كتابه، فقد فصَّل القول في التشبيه، وخاصة في التشبيه الحسي، وعرض لرائعه ومعيبه، ونراه يشير إلى تمسك المعاني، واتصال أوائل الكلام بما يليه حتى لكأنه يستدعيه، ويتحدث عن ضروب من الكناية يسميها التعريض، ويصور بعض سنن العرب وتقاليدهم وعاداتهم، مما قد يندهم على قارئ أشعارهم، ويعرض لطائفة من الأبيات المستكرهة الألفاظ المتفاوتة النسج، ولأخرى أفرط الشعراء في معانيها، وبالغوا مبالغةً شديدة.**

**وأما كتاب: (الموازنة)، فقد انبرى فيه الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر، المتوفى سنة 371، يحاول الفصل في الخصومة التي نشبت بين أنصار أبي تمام من جهة، وأنصار البحتري من جهة ثانية، ونراه يستهلُّ كتاب: (الموازنة بين أبي تمام والبحتري)، ببيان أن في الشعر مذهبين متقابلين، يختلفان من حيث صنعه ونقده.**

**أما المذهب الأول: فمذهب المطبوعين الذين لا يتكلفون في صنع الشعر، بل يرسلون أنفسهم على سجيتها، ويمثلهم البحتري.**

**وأما المذهب الثاني: فمذهب المتكلفين الذين يبعدون في معانيهم، ويُغمضون فيها حتى تحتاج إلى شرح واستنباط، ويمثلهم أبو تمام.**

**ويقول: "إن الأدباء، والنقاد، والعلماء، انقسموا معهما قسمين، فأما الكتَّاب والأَعراب والشعراء المطبوعون، وأهل البلاغة العربية، فيؤثرون البحتري، أما أصحاب الفلسفة، والمعاني العويصة، والشعراء، وأصحاب الصنعة البديعية، فيؤثرون أبا تمام".**

**ويعرض احتدام الجدل في الشاعرين، أو المذهبين، وكيف أن أنصار كل مذهبٍ، أخذوا يحيكون البراهين والأدلة على صحة مذهب صاحبهم وتفوقه على زميله، وأدَّاه تحيزه للبحتري إلى فكرةٍ طريفة، هي أن كثيرًا من المعاني عام، فهو للشعراء جميعًا يشتركون فيه دون أن يقال: أن أحدهما أخذ من الثاني؛ لأن حكمه فيه كحكم صاحبه، فلا فضل لسابق على تالٍ.**

**أما الذي ينبغي أن يقال إنه مأخوذ أو مسروق، فهو تلك المعاني الخاصة، والبديع الذي ليس للشعراء فيه اشتراك.**

**وينتقل الآمدي من بيان سرقات أبي تمام وما أخذه من سابقيه، إلى أخطائه وإحالاته، فحمل عليه حملة شديدة غير ملاحظ أنه صاحب مذهبٍ جديد، وأنه من حق كل صاحب مذهب أن يتحيَّث اللغة قليلًا أو كثيرًا بحكم تطوره بالشعر.**

**وفي هذا الوقت كان المتنبي قد ملأ الدنيا دويًّا بشعره، وما اتخذه فيه من أسلوب عصره؛ أسلوب التكلف الذي يؤدي صاحبه، المعاني الموروثة بطرقٍ ملتوية جديدة، وكان ذا بصيرة نافذة، فرأى أن العباسيين السابقين استنفذوا المعاني وما يتصل بها من المحسنات؛ فاندفع في أسلوب تميز به، وهو أسلوب يقوم على اصطناع بعض الأساليب اللغوية والنحوية الشاذة، والتصنع لبعض الصيغ الفلسفية والشيعية والصوفية، وكان بارعًا فأخفى ذلك، أو كاد يخفيه غير أن جهابذة النقاد لاحظوا صنيعه في وضوح، فانبروا يناقشون فيه، واشتدت الخصومة بينه وبينهم، وأخذت تُؤلَّف في شعره الرسائل، وكان فيه اعتداد بنفسه وترفع وكبرياء، فأثار حفيظة معاصريه من النقاد في كل مكان.**

**وأثار حفيظة ابن خالويه، اللغوي، وأضرابه في بلاط سيف الدولة بحلب، وأثار حفيظة النقاد المصريين، حين حل في الفسطاط، مما جعل ابن وكيع، يؤلِّف في سرقاته وشعره كتابه المصنف، وأثار حفيظة النقاد البغداديين حين نزل بغداد، مما جعل الحاتمي، يؤلف فيه رسالتين، سمَّى إحداهما: الموضحة، وعنى في الثانية، وهي مطبوعة، ببيان سرقاته من "أرسطو" شيخ الحكماء، وأثار حفيظة نقاد مدينة الري؛ حيث دخلها لمديح عضد الدولة، ووزيره ابن العميد، مما جعل الصاحب ابن عباد، يكتب رسالة في الكشف عن مساويه، ولم يلبث علي بن عبد العزيز الجرجاني -المتوفى سنة 392، وكان يتولى القضاء للدولة البويهية بإيران- أن كتب بحثًا مفصلًا في الوساطة بينه -يعني: بين المتنبي وبين خصومه- يريد أن يحق الحق، ويبطل الباطل في فنه، وفي كلام نقاده.**

**وهو مثل الآمدي، يمزج في كتابه، بين مباحث النقد، والبلاغة.**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**